فكر ولكلّ عمل عمر. فليس من الغريب أن نتحدّث عن أعمار الشعوب والممالك، وعن أعمار المدنيات التي تشيدها الممالك والشعوب. وإنّي لألتفت إلى مدنيّة نحن فيها فأسأل نفسي: ترى أين هي اليوم من عمرها ـ أهي في ربيعه أم صيفه أم خريفه أم شتائه؟

من الناس من لا يتردّد في القول بأن مدنيتنا في ميعة الربيع. ومنهم من يقول إنّها تخطّت ربيعها إلى الصيف. ومنهم من يؤكد أنّها اجتازت صيفها إلى الخريف. ومنهم من يزعم أنّها في صميم الشتاء. وهنالك فريق يؤمن أوثق الإيمان بأن مدنيتنا قد اكتشفت سرّ الشباب الدائم فهي باقية ما بقي الإنسان والزمان. ولكلّ من هؤلاء حجّة يسوقها وبرهان يدلي به ودلائل يستند إليها.

أمّا الأمر الذي لا يختلف فيه عاقلان فهو أنّ المدنيّة الحاضرة ما أدركت بعد ولا هدفاً من أهداف الإنسان. فهي ما أخرجتنا من ظلمة حتى أوقعتنا في ظلمات، ولا حرّرتنا من وهم حتى كبّلتنا بأوهام، ولا فتحت لنا باباً حتى اقفلت في وجهنا أبواباً. لئن ذللت لنا الماء والهواء فقد جعلتنا أرقّاء للغاب والتراب. ولئن وسّعت بطوننا حتى لا تكاد تملأها الأرض والسماء فقد ضيّقت قلوبنا حتى لا تكاد